مرثية الشاعر محمد البخاري

حسن فتح الباب

ما كانَ لي أنْ أرثيَكْ
وأنتَ أبْقَى أنت أدْنَى
من دَمِي
طيفُكِ أحْنَى . . إن تَزُرْني يشتعلْ
رمادُكَ النَّدِيُّ . . . تَنطفىءْ
جَمْرة عَتْبي . . . أَلَمي
أنك اخلفتَ الذي وعدتْ
نَمضي معاً
نَبقى معاً
ودَّعتَ ما قليتْ
رَحلتَ ما ودعتْ
لِمَ الرحيلُ في الضُّحَى
مِنْ قبلِ موعدكْ؟
يا زَمَنا ضيَّعَنا . . . وضاعْ
يا وَطَنا روَّعَنا
عِشْقاً إلى المماتْ
نفديكَ . . لن تباع
يا أيُّها الرّبّ المُطاعْ

●

إنَّا على العهد القديمْ
أنتَ المُقيمْ
أنا جناحُك اليتيمْ
آتيكَ مَجنوناً حكيماً . . التقيكْ
غيماً لِنارِي . . تَلتقيني جنَّةً مُسْتَعِرةْ
يا مَلَكَ الأعرافْ
فردوسُك المدينةُ الحبيبةُ المُوصَدَةُ الأبوابْ
جحيميَ الحريةُ الغريبةُ الديار والصحاب
سحر مريبْ
لأنك امتلكتَ روعة اليقين لم تكن
قِدِّيسُهمْ

لأنك الملهَم سرَّ الخلق سِحرَ الشُّحنة المُفَجِّره
باعوك للأشباح
مُغلَّلا مُرْتَهَنا مَلْكاً على الأطياف
من ذا رآكَ أمسِ من نقادنا القياصره؟
من ذا يراكَ اليومَ من كهاننا السماسره؟
وحين جئتَ ربَّهم توافدوا ليشهدوا
وليمةَ الفراشة المحتضرة
والقزّ يكسو حامل الأسفار
النهرُ لا يجف
والسدُّ لا ينهارْ
لكنما فرعونْ
ما زالَ يَحدُو السَّحَره

●

اليومَ ينفضُّ السُّرادقْ
تجلُو السناجقْ
واليومَ لا تنفضُّ سوقُ الصيرفه
صاغُوا قلاداتِ العقاربْ
دقُّوا طُبولاً فوقَ قبرِ المَعْرِفه
زفُّوا العناكبْ
واستَنْفَرُوا للعُرسِ أفّاقي المواكبْ
أنتَ البديعُ المُستباح
طاوٍ ولا كلّ الطهاه
ثوبٌ رويد
تُغنيه عن عُرْيِ صلاه
صيدٌ وَليد
خيرُ الفـدا نعمَ الزكاه
مدُّوا الأواني والنّمارقْ
أنتَ الخوانْ
أنتَ اليدانْ
أنت الشِّواءْ
ما كان أشهى لحمك المقدودَ
يا ظبيَ الأراكْ
جِسرٌ إلى الأخرى حماك
قَهَر على الدنيا قِراك

●

النيلُ أنت القاعُ يخفى
عن عيون الرُّغوةِ الحمقاءِ
والموجِ الضريرْ
دَارَتْك الممدودةُ الرِّحابِ
مِن نَداك كعبةُ الرفيقْ
ظلٌّ فقيرْ
مُلْكٌ وثيرْ
سقيفةُ الودادِ في الضَّراء والسَّراء
لا سرّاءَ في ممالِك السنابكِ المتوجهْ
يُؤكَل لحمُ الشهداء
في زَمَن المُرتزقه
عينانِ . . تخضلاّنِ بالشَّجْوِ البهيجِ . . بالرِّمدْ
إرثُ القُرى . . . طولُ السُّرى
دمعُ السَّواقى المُغْرَقه
كُحْلُ العيون المُطْفَأة
بقيَّةُ المَوَّال تحت الخيمةِ المهترِئَهْ
والقلبُ ينبوعٌ . . حَجَرْ
يُعْطِي ويَفْنَى أَلَقا
يَفْني ويَبْقَى حُرَقا
يا عطشَ البحار
ويا دَمَ الأنهار

●

باريسُ يا ناعمةَ الليلاتِ
مُرَّةً على الغريبْ
مَزارَ عاشقٍ شرودْ
ظلَّةَ شاعرٍ طريدْ

يا طِيبَها بالعَبَق الحنونْ
مِسَلَّة مُغتربه
قيثارة مُلتهبه
والغيمُ والشعاعُ يا حُلْمَ السجينِ
يا مِراح المترفينْ
باريسُ يا بهجَتنا أكبادَنا المنفطِرَهْ
عُرْسَ مآتم العناهْ
دوحةَ أحبابِ الحياهْ
(عيونَ إلزا) وجنونَ الأمْسِيَات الشَّاعِرَهْ
مقاصلَ الأحِبَّة المُهاجره
باريسُ يا ترتيلَ غانيه
يا عاشقَيْنِ افْترقا
وثائِرَيْنِ اعْتَنقا
سحَرَ المدائنِ المُعَطَّرَه
والشُّعَلِ المنكَسِرَه
تُراكِ أصغيتِ إلى خطوته
دانيةً كرعشة الندى على كئوسِ داليهْ
وانيةً فوق رَصِيفِ (السِّين)
شمعة على الغروبْ
خفقتِهِ . . . . ابتسامَتِهْ
لخطوْ طِفْلَتَيْنْ
لهَمْسِ عُصْفُورَيْنْ
في غابةِ العُشَّاقِ كُلّ اثنينِ يرفُلانْ
في ثوبِهِ الحاني
في قلبِهِ العاني
باريسُ كنتما خَمِيلَتَيْ غَرام
فأينَ أخْفَيتِ لديكِ زهرَتَهْ
نجمتَه الخضراء
غُنوتَه الخافتةِ العذراءْ
جبينَه المُغَضَّنَ الأغرْ
لوحَتَه بلا إطارْ
وصمتَهُ الكنارْ
ليلَتَهُ الأسرارْ
وحُلْمَهُ النَّهارْ
والنَّظرة انبهارْ
شجًى . . . مُنًى . . دُوارْ
سمعت رجفتَهْ؟
أم أنَّكِ الوردةُ والسكينْ
الطاعنُ الطَّعنْ؟
حديقةُ الوَهْمِ أم الثُّوَارْ؟
(بودلير) أم (إيلوارْ)؟
باريسُ يا عشقَ (أراجونَ)
ويا فجرَ (البُخَاريِّ) الجميل
يا عمرَهُ القصيرَ، يا جناحَهُ المُحَلِّقَ الأسِير
يا خوفَهُ انكسارَهُ إصرارَهُ
يا ضعفَهُ جسارَتَهْ
مرارتَهْ
إشراقتَهْ
القمر القبر السَّماء
الجنَّة الأفعَى
(ناظم) والمَنْفَى
مَأوَى ولا مَأوَى
باريسُ يا باريسُ يا أيَّامَه ليلاتِه الحرارْ
أفديكِ إنْ أرجعتِه غمامةً مسحورةً
ثوباً على صَبِيَّةٍ نِيلِيَّةِ الخَدَّيْنْ
تَمشِي على اسْتِحْياء
حتى تُدَاري شَبَقَ النَّهدَيْن
من عَضَّةِ الذئاب
وعَضَّةِ الأمعاء
أفديكِ إن أَرْجَعتِه أغنيةً
حتى يحينَ الموعدُ القريبْ
لقاؤُنا الحبيبْ

●

طَوَّفتَ ما طَوَّفتَ هل رأيتْ
غيرَ انكسارِ الوَترِ الرَّخِيم؟

غيرَ انتصارِ النَّاعقِ الرَّجيم؟
غيرَ انتحارِ الشُّرَفاء؟
يا شَهْقَةَ الناي الحزينِ ساعةَ الأصيلْ
يا نَزْفَةَ الشَّادوفِ تحت الخَشَبِ المسنونِ
تحتَ الطينْ
يا شَجَنَ الكافورةِ الشَّامخةِ الجَرْداء
يا صفصافةً خضراء
تُظِلُّنا إذا قسا الهجير
غمامَةَ لابنِ السَّبيلِ يا صَفيَّ لضُعَفاءْ يا بلبلَ العُشِّ الكسيرِ
يا شهيداً
يا نَجِيَّ الغُرباء

●

شَخَوْتَ ما أَبْقَيْتْ
سهرت ما أصبَحْتْ
إلا بقايا من وَجِيبْ
مُرَقْرق القَصيد
ذِكْرَى مُقاومٍ عَنيدْ
طَيف حبيبْ
رحلتَ ما خَلَّيْتْ
ريشة عُصفورٍ مبلَّل الجناحِ
مات بالظَّمأ
كفَّنَه النيلُ بموجتينِ حين ضنَّ
أن يَسْقيه قطرتين من رحيقه المُباحِ
أن يمسحَ عن فؤادِه النبيلِ
ما أضناه من جراحِ مجدِنا وسُقْمنا
عذابِ حُبِّنا ومقتنا
غُربتنا فوق سفين السفهاء وانتمائنا
إلى أشرعة البَحَّارة العُراةِ
فوقَ الريحِ ، كانت صرصراً
والنَّوءُ كان عاتياً
والخوفُ غال وحسنَ (طيبةَ) الخضيبَ
وانتمائنا إلى قوائمِ (المُناصِرَة)
والقومُ جابوا الصخرَ بالواد
مثقوبةً . . دُمًى . . رمادا بعد حربٍ نَخِرَهْ
من فوقها مُدَّتْ عِظامُ الفَجَره
أحذيةُ الفاشيَّة المندحره

●

يا أيُّها الفجرُ الكَنارُ الزاهِدُ المنارُ
يا صُبْحا تجلَّى فارْتَمى
نُسَّاكُ عرشِ الإفكِ وانهلَّ الغمامُ المُشْتَهَى
قامت قيامةُ العَذارَى حاملاتِ اللَّوتَسِ المضفورِ
إيزيسيَّةِ العينينِ من عشقِ
ولا دمعَ على (أوزيرَ) لم يمتْ
وأنت حيٌّ بيننا
حتى ترى (حوريسَ) مجلوًّا على صدر الأُفُقْ
يُهديكَ زادَ الرحلةِ الموعودةِ المُدَخَّرَهْ

كأسَ حليبٍ . . . تَمْرةً
لِوَجنتيْن غاضتا
يُهديكَ غابَتَيْ حَنانْ
لقُبلتَيْن غابتا
أُغنِيَتيْ كَرْوان
لمُقْلتينِ غامتا
قصيدةً لِرُوحنا المنتصره
تعودُ محبوراً مُكَلَّلَ الجبينِ
سَيِّدَ الشَّجَى
تُطِلُّ للغربِ المُضَوَّأ الرمادِ
للهلالِ للهَرَمْ
لِلنِّيلِ . . ثم تختفي وراءَ هالةِ السَّحَرْ
مُبتسماً . . مُوَدِّعاً
تنامُ في حِضْنِ الشَّفَقْ
حتى تعودَ مَرَّةً أُخْرى . . تزورُنا
إذا أنزلَ (حوريسُ) القَمَرْ